



الخلفيات الاجتماعية والاقتصادية لنضال المرأة بالصحراء الجزائرية من

خلال كتاب:

Mathéa Gaudry ; la société féminine au djebel Amour et au Ksel

د: دهان سليمان

—جامعة غرداية —

dehaneslimane@gmail.com

الملخص:

ان نضال أي شعب بمختلف فئاته لا يكون في سياق معزول ودون خضوعه لمؤثرات من مختلف الجوانب، ولما كانت المرأة الجزائرية عامة وفي الجنوب الجزائري بخاصة ركيزة تأسس عليها الفعل الثوري بالمنطقة فان نضالها عرف عدة تأثيرات، ذلك ان النضال ضد المستعمر اتخذ عدة اشكال ومجالات سمح لكل فئة بالمساهمة وصناعة حلقة من حلقاته المترابطة، فان هذا الامر انعكس على تعدد المجالات التي ساهمت بها المرأة بالجنوب الجزائري في الثورة التحريرية سواء في الجانب التموييني او الإعلامي او الطبي او الاقتصادي وغيرها...

والمداخلة محاولة لتوضيح المنطلقات الاجتماعية والاقتصادية التي ساعدت على جعل المرأة بمنطقة جبال عمور وجبال كسل والجنوب بصورة عامة تضطلع بدورها المنوط خلال الثورة التحريرية انطلاقا مما عاينه الكاتب "ماتيا غودري" لكون هذا الأخير من خلال كتابه غاص في حيثيات ودواخل المجتمع النسوي وخباياه ابان فترة الثورة التحريرية.

الكلمات المفتاحية: المرأة الجزائرية — الصحراء الجزائرية — الثورة التحريرية — المقاومة — ماتيا

غودري

Résumer :

La lutte de tous les peuples de toutes ses catégories n'est pas dans un contexte isolé et sans être soumise aux influences de divers bords, et puisque la femme algérienne en général et dans le sud algérien en particulier était un pilier sur lequel s'est appuyée l'action révolutionnaire dans la région, sa lutte a connu plusieurs effets, car la lutte contre le colonialiste a pris plusieurs formes et domaines qui ont permis à chacun de contribuer et de créer un de ses cercles interconnectés, cette matière se reflétait dans la multiplicité des

domaines auxquels les femmes du sud algérien contribuaient la révolution de la libération, que ce soit dans l'approvisionnement, les médias, les aspects médicaux, économiques et autres.

L'intervention est une tentative de clarifier les prémisses sociales et économiques qui ont permis aux femmes des Djebel Amour et Ksel et du Sud en général de jouer leur rôle pendant la révolution de libération, à partir du témoignage de l'écrivain «Mathéa Gaudry », car ce dernier, à travers son livre, a plongé dans les faits et les entrailles de la société des femmes et de ses secrets pendant la période de la révolution de libération

Mots-clés : femmes algériennes - Sahara algérien - Révolution de libération - Résistance - Mathéa Gaudry

— مقدمة:

ان النضال الذي رسمه المجتمع الجزائري في المنطقة الجنوبية كل متكامل ولا يقبل التجزئة، اذ ان العمل الثوري المسلح في جبهات القتال يكون بالضرورة منسجم مع العمل الثوري المدني في المدن والحواضر والبادي بمختلف تظاهراته، حيث ان النشاط المسلح لا يوقف بالضرورة التحركات والأنشطة على بقية المستويات الأخرى غير العسكرية، فكان من أساسيات نجاح العمل المسلح في الثورة التحريرية.

ان مساهمة المرأة الجزائرية بشكل عام والمرأة في الجنوب الجزائري بشكل خاص لا يجب ان يحد في خيانة المساهمة العسكرية فقط، بل يجب ان ينظر له ويعالج في اطره الصحيحة، والتي تقتضي بالضرورة النظر اليه من زاوية المهام المنوطة بالمرأة في الحياة بشكل عام وتوجيهه بما يخدم العمل المسلح، فالمرأة في الجنوب الجزائري كانت ركيزة أساسية في بناء النسيج الاجتماعي وخاصة تشكيل سبعين بالمئة من البنية الاقتصادية الاهلية الموازية للاقتصاد الكولونيالي، فكان نشاط المرأة في الثورة بالجنوب الجزائري يركز على خصائص حياتها ونمط معيشتها، ومن هذا المنطلق نطرح الإشكالية المطروحة : من اين استمدت المرأة مساهمتها في الفعل الثوري بكل مستوياته؟

1. التعريف بالكاتب:

ان مؤلف الكتاب ماتيا غودري من مواليد عمالة قسنطينة بالجزائر، وهو متحصل على شهادة الدكتوراه في الحقوق، انجز مجموعة من الأبحاث عن المرأة الجزائرية بصفة عامة وله كتابين رئيسيين في هذا الشأن الأول أصدره في سنة 1929 تحت عنوان المرأة الشاوية والاوراسية ، اما الكتاب الثاني وهو الكتاب الذي نحن بصدد تقديمه تحت عنوان المرأة في جبال العمور وإكسل وقد اصدر كتابه الأخير في سن 1961، الذي يعتبر تكملة للعمل لذي شرع فيه مستهدفا المرأة في النواحي الشرقية للجزائر في السلسلة الأطلسية التلية، ليكون الكتاب الثاني عن المرأة جنوب السلسلة الأطلسية الصحراوية ومركزا عن الناحية الوسطى والغربية، وقد أشار غودري الى ان انجاز وتحضير كتابه هذا استغرق 20 سنة كاملة، وقد اعتمد في تاليفه على الزيارات الميدانية للمنطقة والاستقرار بها ما بين سنتي 1932 و 1933 متخذاً من مدينة آفلو مستقراً لهⁱ.

ويشير المؤلف في مقدمة كتابه ان هذا العمل كان تحت وصاية جامعة الجزائر العاصمة في معهد البحوث الصحراوية وبمساهمة من المندوبية العامة لحكومة الجزائر والمعهد الوطني للأبحاث العلمية، وهذا الامر ساعده على الولوج الى المنطقة وعمل الجهات الإدارية الوصية على تقديم كل التسهيلات بهدف انجاز هذا البحث، خاصة من قبل المفتشية العامة للأراضي المدنية ومديرية شؤون المسلمين وكذلك من طرف معهد باستور وجمعيات الآباء البيض والإدارات المدنية لكل من آفلو والاغواط البيض، وبمساهمة البشاغات المحلية خاصة الباشاغا محمد بن احمد بن معزⁱⁱ.

2. التعريف بالكتاب من حيث اقسامه وفصوله:

قسم ماتيا غودي كتابة الى ثلاثة اقسام رئيسية ويندرج تحت القسم الأول والثاني فصلين مطولين، بينما الفصل الثالث خصصه لكتابة التقارير والملحقات وبعض الاشعار والمخطوطات.

ففي القسم الأول من الكتاب وهو القسم التمهيدي خصصه الكاتب للحديث شكل الحياة بالمنطقة، فكان الفصل الأول عن الحياة البدوية اما الفصل الثاني عن الحياة في القصور الصحراوية الواقعة في سلسلة الاطلس الصحراوي اما الفصل الأخير فقد خص به مدينة افلو وخط الحياة به ⁱⁱⁱ.

اما الفصل الأول من الكتاب فافرده ماتيا غودي لخصائص حياة المرأة بالمنطقة وشكلها وطبيعة عيشها مستهلا الفصل الأول بالحديث عن السكن والباس وخصائصها ملامحها، اما الفصل الثاني فكان للحياة الاجتماعية للمرأة كشابة عازبة ثم الحياة الزوجية وعادات وتقاليده المنطقة في الزواج والطلاق وغيرها من التفاصيل. اما الجزء الثاني من الكتاب فخصص لنشاطات المرأة وهو مقسم الى فصلين، فالأول تحدث عن النشاطات الاقتصادية للمرأة بمختلف المجالات من زراعة وحرف متنوعة اما الفصل الثاني فخصص للنشاطات الاجتماعية خاصة علاقتها بالأولياء والمربطين وممارستها للطب الشعبي، وطبيعة أنشطتها في المناسبات الدينية والاجتماعية كالأعياد وغيرها.

فيما خصص الجزء الأخير وهو الأقصر للملاحق والتقارير ونقل بعض الاشعار الشعبية وغيرها.

3. لمحة عن النضال العسكري للمرأة:

تعددت الأبحاث والدراسات التي تناولت موضوع اسهامات المرأة ودورها في الثورة التحريري والتي أجمعت كلها على محورية هذا الدور في كل المجالات تقريبا خاصة العسكري والاجتماعي والاقتصادي، وهو دور مشرف في تاريخ ثورتنا .

فقد شاركت المرأة مع الرجل جنباً الى جنب في ميدان الكفاح العسكري تحت مسمى الأخت او المناضلة او المجاهدة^{iv}، فارتدت المرأة ثياب الجندية والزي العسكري مثل الجنود تماماً وحملت الأسلحة بمختلف أنواعها الرشاشة والبنادق والمسدسات والقنابل اليدوية علقت بأحزماتها، وتحركت مع كتائب جيش التحرير الوطني في كل الظروف^v، وكانت فدائية ومجاهدة ومسيلة الى جانب اخيها الرجل وأثبتت وجودها في الكفاح المسلح بجدارة عالية حيث التحقت 1700 مجاهدة بالجلال أي ما يعادل 19 بالمئة من اجمالي النساء المجاهدات فشكلت قوة عسكرية فعالة وإيجابية^{vi}

وتوسعت مهامها مع سنوات الثورة واتساع نطاقها واوكلت لها مهام جبارة في العمل الثوري إلى جانب الرجل، وتم التأكيد على ذلك من خلال توصيات مؤتمر الصومام، والذي جاء فيه بخصوص الحركة النسائية انه يتوجب عليها إذكاء روح الحماس في صفوف الجيش وأعمال الاتصال والمخابرات وهيئة الملاجئ وإسعاف عائلات الشهداء والمعتقلين.

ورغم ان المرأة خلال الثورة قد تجاوزت في مهامها خصائصها البيولوجية من حمل سلاح وقتال والاهتمام بشؤون الإدارة من مراسلات وكاتبات وراققات وايصال التقارير والاشتراكات^{vii}، فلم تبخل المرأة الجزائرية يوماً ما كان باستطاعتها تقديمه للثورة فقامت بكل العمال التي من شأنها أن توفر الراحة للعائدين من ميدان المعارك حيث كانت تجمع الحطب وتعد الأكل وتغسل الملابس وتقوم بخياطتها في بعض الأحيان كما كانت تقوم بحراسة المجاهدين^{viii}.

ومما سبق ذكره فان نضال المرأة في الثورة تأسس بالدرجة الأولى من خلال نمط حياتها وخصوصية دورها في الاسري والاجتماعي والاقتصادي بالدرجة الأولى ناهيك عن الدور العسكري، وهو ما حاولت الوصول اليه في نضال المرأة بالجنوب الجزائري انطلاقاً من التعرف على المقومات الاجتماعية والاقتصادية التي سمحت

للمرأة في الجنوب الجزائري ان تلعب الدور المنوط بها انطلاقا من كتاب ماتيا غودري.

4. الخلفيات الاجتماعية لنضال المرأة من خلال مؤالف ماتيا غودري:

تعددت المجالات ذات الطابع الاجتماعي بشكل عام التي يمكن ان يستشف من ثنيها اهمي المرأة في المجتمع، ويمكن من خلالها ان يقاس دورها في العمل الثوري الذي سيتخذ بطبيعة الحال شكل اجتماعي وهو جانب اساسي مكمل العمل المسلح.

ان من بين المجالات الاجتماعية التي عملت الثورة التحريرية على تنظيمها وتطويلها وهيكلتها تاتي مسألة التموين. بمختلف صياغها خاصة بعد مؤتمر الصومام 20 اوت 1956 حيث تم تنظيم المجتمع كل في دائرة اختصاصه ولعله في هذا المجال برز دور المرأة بشكل جلي في مسألة الانخراط في حركة التموين خاصة التموين الغذائي ناهيك عن الدعم المالي والصحي^{ix}.

ان مسألة التموين الغذائي في الثورة مسألة في غاية الأهمية شأنها في ذلك شأن قضية التموين بالسلاح والعتاد والمعدات، ولا اعتقد أني الى اليوم حسب اطلاعي المحدود ان هناك دراسة اكااديمية ناقشت مسألة الغذاء والتموين الغذائي لجيش التحرير الوطني، والذي يجعلني اعتقد جازما ان هذه الإشكالية البحثية ستخرج الى النور دور المرأة بشكل عام ويبين محاوريتها في تحقيق الامن الغذائي للثورة التحريرية، وقد اشارت عديد الدراسات الى ذلك وركزت ان المرأة تقوم دوما بطهو الطعام للمجاهد الذي يأكل في بيتها أو يحمل معه مؤونته على ظهره يقتات منها بين الحين والآخر من الأنواع الغير قابلة للتعفن مثل "المعكرة" أو "الطمينة" المصنوعة من دقيق القمح والسمن والتمر، وهي آكلات دسمة تحتوي على مقويات هامة وتستغل لوقت طويل جد، فكان جيش التحرير يمون في بداية

الثورة بشكل خاص من طرف الشعب^x ويتم اطعام المجاهدين في الليل لدى سكان الأرياف خاصة وهو ما جعل المرأة الريفية تتحمل هذا العبء^{xi}

يمكننا تعزيز هذا الدور الثوري والاجتماعي في ذات الوقت من خلال الشهادة التي أدلت بها السيدة فاهمة علّال حيث تقول: "في بداية الثورة... كانت النساء يقمن بالأعمال التي تتمثل بتموين جيش التحرير الوطني، من خلال تهيئة الكسكس والكسرة والفريك والمرمز (أكلة شعبية) وتخطيط مختلف الأشياء التي يحتاجها جنود جيش التحرير الوطني كالقشاشب والجلابيات وعندما اشتد البطش الاستعماري وتعرض الرجال للقتل والنفي والتشريد، تحملت المرأة أعباء أكبر في التموين حيث كن يجمعن مختلف المؤن من كسرة وكسكس ومؤونة وغير ذلك في أكياس يحملنها ويغطينها بالنفايات حتى لا يكتشفها جنود العدو، ثم يحملنها على الحمير ويتجهن إلى مراكز استقبال المجاهدين^{xii}.

وفي هذا السياق وانطلاقا من كتاب ماتيا غودري فقد تأسس العمل الثوري للمرأة في الجنوب الجزائري وخاصة المنطقة محل الدراسة وهي المتمركزة قرب سلسلة الاطلس الصحراوي بعدة اشكال ومن جملة ما ذكره اهتمام المرأة بإيجاد أنماط غذائية تساعد على التأقلم مع طبيعة الحياة التي تتميز بالتنقل والترحال، بنفس النمط الذي سار عليه جيش التحرير الوطني في المناطق الشمالية، ولأجل ذلك ساهمت المرأة بهذه المنطقة المأكولات المصيرة التي اختصت المرأة الصحراوية بتحضيرها ومنها الرفيس والكعبوش والربّ والروينة والبسيصة والنوقة، وهي مصادر غذائية هامة للغاية في عيش سكان الصحراء الجزائرية بشكل عام: ومن جملة ما فصل فيه الكاتب من هذه الاكلات نذكر:

الربّ: اختصت المرأة بالجنوب الجزائري بتحضير اكلة الربّ الذي يتم صنعه من التمر بعد عجنه وعصره من خلال لماء وستخلالص مكوناته وعملت المرأة على تخزينه في قرب جلدية تعرف محليا "بالعكة"

الروينة: وتحضر الروينة من خلال مزج التمر بالقمح المطحون او الشعير او الذرة بعد تخميص هذه الحبوب ووضعها في الماء البارد ثم يضاف لها لتمر والسكر والزبدة وتشكل في النهاية على هيئة كرات مدورة صغيرة وهي مغذية بشكل كبير، وقد كانت مصدر تموين غذائي للمجاهدين خلال الثورة بصرف النظر عن استخدامها الاجتماعية، ذلك انها كانت اكلة تميز بعض المناسبات العائلية والدينية من أعياد وختان وغيرها . وكذلك الحال ما اكلتي البسيصة والنوقة التي لا تختلف كثيرا في تحضيرها وكونها اكالات مصبرة فتدخل أيضا في هذا الاطار^{xiii}. ص230

الرئيس: ويحضر الرئيس بمنطقة جبال عمور بخاصة والجنوب الجزائري عامة من خلال مزج التمر مع مواد غذائية أخرى أهمها السمن، ويتميز الرئيس بكونه مادة غذائية ذات قيمة غذائية عالية وقابلة للحفظ لمدة طويلة وهو ما جعلها مصدر أساسي للغذاء لكل أبناء الجنوب خاصة من يعيشون حياة الترحال، وقد تم الاعتماد على هذه المادة الغذائية بشكل أساسي في تزويد مجاهدي المنطقة وكل التحركات في الولاية السادسة التاريخية. ص230

الزبدة والاجبان: اختصت المرأة بالجنوب الجزائري بتحضير مادة الزبدة والجبن المستخلصة من الماشية. بمختلف أنواعها من ماعز وابقار واغنام.

طحن الحبوب: ان تحضير الحبوب التي يتم جنيها من الحقول والمزارع يدخل في صميم مهام المرأة، التي كانت تقوم بطحنها بمختلف انواعها وتقدمها في حالة صالحة للتخزين والاستهلاك وبقما اقتضت الحاجة ذلك وهذا ما فصل فيه ماتيا غودري حيث يؤكد على شيوع هذا الامر لدى المرأة الصحراوية بشكل عام سواء الحضرية او البدوية او تلك التي تقطن القصور الصحراوية^{xiv}

- المرأة والتطبيب والتمريض:

تعتبر عملية التطبيب والتمريض من صميم اعمال المرأة الجزائرية بشكل عام خلال الثورة، ولا نجد مرجعا او مصدر أشار الى دور المرأة دون ان يربطه بشكل

وثيق بهذه المهمة الثورية والاجتماعية النبيلة^{xv} خاصة مساهمة المرأة الريفية في هذا الجانب الإنساني من حياة المجاهدين الجزائريين في المناطق الجبلية والريفية بالولايات الداخلية الجزائرية، وذلك استنادا لكون جل هذه المعارك والاشتباكات العسكرية القائمة مع القوات الاستعمارية الفرنسية، كانت في أغلبها في المناطق الريفية والجبلية، وفي هذه المناطق نجد أن المرأة الجزائرية قد حملت على عاتقها مهام النهوض بالعديد من المصالح المختلفة لفائدة الثورة التحريرية وجميع منتسبيها من المجاهدين كنقل الجرحى، معالجة المصابين، التكفل بالحالات المستعجلة للجرحى والمصابين في ظل الغياب أو شبه الانعدام بالنسبة للإمكانيات والوسائل^{xvi}

فزاوت المرأة في الجنوب الجزائري الطب والتمريض خلال الثورة التحريرية على عدة مستويات والتي تدخل كلها في إطار الطب الشعبي وقد اشار ماتيا غودري الى نبوغ المرأة بالجنوب الجزائري في هذه الحرفة اذ افرد فصلا كاملا عن هذا الجانب الاجتماعي الهام في حياة السكان وبيّن موقع المرأة فيه وتفردا في العمل في الطب بشكل عام، غير ان ماتيا غودري افرد في البداية اهتمام المرأة بالطب الروحي الذي يمتزج فيه الواقع بالخيال، وتداخل الشعوذة والسحر بالعلم وذلك من خلال العلاج عبر المرابطين والاولياء ثم التسبب والتقزان واستخدام الجن، ليصل بعد ذلك الى الطب العلمي المعاصر الذي يتم التداوي فيه عبر الادوية والاعشاب والادوية المصنوعة بشكل تقليدي التي هي وليدة التجربة العلمية، ويشير الى بروز نسوة في المنطقة موضع الدراسة كانت لهن اليد العليا في هذا المجال مقارنة بالرجال، ومن خلال تتبعه لهذا الجانب تمكن من جرد العديد من الامراض التي كانت شائعة في تلك الفترة مرفقا كل مرض بطرق العلاج التي كانت المرأة تتبعها، وقد أشار انه في الكثير من الأحيان توجد عدة طرق عالج نفس الرض، وكذلك التدرج في العلاج من خلال استخدام غمط علاجي فان لم تكن هناك استجابة تنتقل المرأة الى اتباع مستوى آخر من التطبيب^{xvii}.

وقد فصل الكاتب في التطبيب النسوي لأمراض النساء وبروز مهنة القابلات بالتخصص في المنطقة ووجود أسر تتوارث هذه المهنة وقد أعطى امثلة عن افلو والبيض والاغواط وغيرها ممن امتهن هذه المهنة^{xviii} ، وقد أشار ماتيا غودري الى تمكّن المرأة من علاج العديد من الامراض السطحية والباطنية في مختلف التخصصات وقدم بعد ذكر كل نوع من الامراض وصفة العلاج المتبعة، ومن جملة المراض نذكر:

الامراض الداخلية أشار الى الخراج الصدري والذبحات الصدرية، ووجود الديان في الاجهزة الداخلية للجسم خاصة الجهاز الهضمي والجروح التي تصاب بها المعدة، ومرض السرة والامصال الواجب تقديمها لكل من تعرض للتسمم، والامراض التي تصيب الكبد ومعالجة حالات الحمى بمختلف أنواعها، والبواسير الداخلية والخارجية وحالات الاسهال الحاد واحتقان الرئة والروماتيزم ومرض السل جذري^{xix}

وكذلك امراض السيلان والحروق وصداع الراس والمغص، تسكين آلام الاسنان الامراض التي تصيب اللثة ومرض التهاب الحنجرة والتهابات الأذن وكذلك الحال مع المفاصل من كسور والتواءات والتهابات، والامراض الجلدية كالجرب

وكذلك الحال مع الامراض النفسية والاضطرابات العقلية الناجمة عن صدمات او ضربات الشمس والجنون والخوف ورض اليرقان مرض الانزعاج مصفوفة المرض مرض النكاف وشلل داء الثعلبية لدغة العنكبوت والجروح السطحية المسهلات ومفتقد نزلات البرد ونزلات البرد مرض الحصبة الشمس مرض الزهري سعة سبات سعال مزمن عيون^{xx}.

ولا شك ان هذه الخلفيات الاجتماعية لتمكن المرأة من هذا الجانب الاجتماعي والعلمي من تقنيات الطب والعلاج بالطرق العلمية والشعبية لمعارف عليها قد اسهم في دعم العمل الثوري خلال الثورة لحاجة الثوار في الولاية السادسة التاريخية

الى الأطباء والمرضى وإلى تقنياتهم ادويتهم المصنوعة والمخزنة، ومساهمته في علاج قوات جيش التحرير الوطني.

5. الخلفيات الاقتصادية لنضال المرأة:

ولما كان نضال المرأة بالجنوب الجزائري خلال الثورة التحريرية نابع من تركيبتها ومن تفاصيل حياتها اليومية ومن كل ما تتقنه من مهارات اقتصادية وحرفية خاصة مع طول سنوات الثورة فقد تحولت الثورة الى نظام حياة معتاد ألفه الشعب الجزائري بشكل عام والمرأة الجزائرية بصورة خاصة كيّفت فيه الاعمال والأنشطة وفق ما يخدم العمل الثوري والمصلحة الوطنية، فكان لزاماً ان ينسجم العمل الثوري مع سيرورة الحياة بمختلف انماطها بشكل كبير، ولأجل ذلك فقد شغلت المرأة بالجنوب الجزائري دوراً بارزاً يكاد يكون في المرتبة الأولى في الاعمال غير العسكرية مقارنة بالرجل، فقد تقدمت عليه في الكثير من الأحيان خاصة في المجالات ذات الطابع الاقتصادي التي هيمنت المرأة على العمل بها، ذلك ان المرأة كانت تعمل باستمرار على تزويد الثورة ورجالها بكل ما يحتاجونه من عتاد والبسة ومعدات ومؤونة، فقد استحوذت المرأة في الصحراء عامة وفي جبال عمور وضواحيها بحسب الكاتب على عديد المجالات الصناعية والحرفية التي كان من شأنها دعم الثورة بمختلف المستويات.

- النشاط الاقتصادي للمرأة:

اختلف نشاط المرأة الجنوبية في حياتها اليومية بين المرأة التي سكن في القصور والواحات وتلك التي تعيش في البوادي والارياف فتعرف الأولى نوعاً من الاستقرار الاسري وتدخل اعمالها في باب اليوميات اما المرأة البدوية فنشاطها متغير ومختلف بعض الشيء عن الأولى.

فالمرأة القصورية حسب ماتيا غودري تعمل بشكل يومي في الطبخ وتحضير القهوة بمختلف مراحلها وتقوم بأعمال التنظيف والسقاية من البئر وسحب المياه

وغسل الألبسة وطحن القمح وتحضير الدقيق ومخض الحليب وجمع الأعشاب لإطعام الماشية وجمع الحطب اليابس بهدف التدفئة ومساعدة زوجها في تمزيق الحلفاء وتمليح اللحوم، وفي بعض الأحيان صناعة بعض المقتنيات المنزلية المصنوعة من الحلفاء بغرض الاستخدام اليومي^{xxi}.

اما المرأة البدوية فلها مهام إضافية عن المرأة القصورية وهي مهام مرتبطة بطابع حياتها، ومن جملة المهام نجد حسب قودري دائما نصب الخيام ونزعتها عند كل مرتحل واستقرار، والمساهمة في رعاية الماشية والبغال ومعالجة الماشية المريضة، كما كان لها أنشطة في الصناعات الفخارية والنسيج التي تصنع منه الخيم، بينما كان للرجل دور أساسي في رعاية الماشية في الجبال والحقول، ودأبت نسوة المنزل الواحد على تقاسم المهام المختلفة فيما بينهم^{xxii}.

ان الاقتصاد الشعبي او الأهلي بالجزائر في كل مناطق الوطن يعتبر بمثابة الاقتصاد الحقيقي بالنسبة لهم نظرا للامسته لحاجياتهم واهتماماتهم الحياتية، خاصة وان سكان الجنوب الجزائري بقوا تحت الحكم العسكري ولم يعيشوا في كنف الحكم المدني الفرنسي اسوة بالشمال فقد انعكس هذا الامر بشكل مباشر نط حياتهم فقد تعايش سكان الجنوب الجزائري مع هذا الوضع مقيمين اقتصادا موازيا للاقتصاد الفرنسي والذي مثل بالنسبة لهم الاقتصاد الحقيقي للبلاد.

- المرأة والصناعات الصوفية والنسيجية:

لقد تميزت منطقة شمال الصحراء بوجود وفرة في الكأ والحلفاء وغيرها وهو الامر الذي جعلها تكون منطقة ذات طابع رعوي، وهو الامر الذي ترتب عنه وفرة في الاصواف بمختلف أنواعها مما سمح للمرأة بان تقيم أسس لصناعة نسيجية وصوفية بشكل حرفة يدوية هيمنت عليها أكثر من الرجل.

واستهدفت المرأة الصحراوية حسب غودري هذه الحرفة لأغراض متعددة منها سد حاجيات منزلها من الألبسة والافرشة والاعطية وكل ما يلامس حياتها اليومية من جهة، ومن جهة أخرى تعمل على تزويد السوق والمجتمع بذات المستلزمات

عن طريق البيع وتحقيق الربح، ولا مناص ان هذا الامر قد انعكس على الثورة في نفس المجال، نظرا لضرورة تزويد الثوار بمقتنيات تساعدهم على أداء مهامهم العسكرية من البسة واغطية وافرشة وغيرها^{xxiii} كانت مهمة في الجبال ومن جملة ما صنعتها يد المرأة بالصحراء نذكر:

الخيم: وكانت الخيمة بمثابة منزل متنقل لدى البدو الرحل والتي كانت تصنع من الصوف المستخلص من الماشية او الذي يتم اقتناؤه من الأسواق، وكان انجاز خيمة واحدة يتطلب اعمالا متواصلة ولعدة مراحل دأبت المرأة على التكفل بها ك شراء المواد الأولية وتحضير الاصواف وغزلها وتبييضه وتلوينه وصبغه بالألوان المناسبة وتزيينها ثم استخدامها في الة النسيج اليدوية التي تعرف بالمنسج^{xxiv}.

الألبسة بمختلف انواعها: كانت الألبسة التي يتم استخدامها وتداولها في الجنوب الجزائري محلية الصنع بشكل كلي من حيث المواد المستخدمة من حيث مزاوله حرفة النسيج او الخياطة وصناعتها، ويأتي دور المرأة في هذه المنطقة ليشكل حجر الزاوية في هذا المجال زيادة على مهامها الأخرى، فمن خلال المؤلف يتضح جيا ان الأسرة الصحراوية وفي الجنوب الجزائري بشكل عام تلبس مما تصنعه انامل المرأة سواء كانت البسة رجالية او نسائية وللصبة الصغار، وقد أشار صاحب الكتاب الى العديد من الألبسة منها:

البرنوس: ويعتبر البرنوس نمط للبس في العالم الإسلامي بشكل عام وفي الجزائر أيضا مع وجود خصوصية لهذا اللباس في كل منطقة من البلاد، وعملت المرأة بالجنوب الجزائري على صناعة هذا اللباس الذي صنعتها بانواع متعددة وبجودة مختلفة تبعا لنوعية الصوف والألوان المستخدمة ونوعية غطاء الرأس في كل نوع^{xxv}.

وقد تفننت المرأة بصناعة البرانس كالبرنوس العباسي الأصفر الرجالي وبرنوس " القيدوس" وهو برنوس اسود يخاط بالخياط المغزولة، إضافة الى الجلابية المغربية التي كانت تستورد اقمشتها من المغرب الأقصى وتفصل وتخط بالمنطقة من طرف النساء^{xxvi}.

وتجدر الإشارة الى أهمية هذا اللباس في النشاط الثوري في الجبال قياسا بما يوفره من حماية لمواجهة تقلبات الطقس خاصة في فصل الشتاء؟، فكان المجاهدون في الثورة التحريرية يعتمدون على برانيسهم في كل تحركاتهم وتنقلاتهم وهو ما يبين الأثر الكبير لأهمية لنشاط الحرفي للمرأة التي كانت تزود الأسواق بهذا المنتج الأصيل.

العباءات والقنادر: تعتبر العباءات والقنادر من الألبسة التي تميز الرجل بالجنوب الجزائري على مر العصور والازمنة وقد تكفلت المرأة في غالب الأحيان بصناعتها وخياطتها، إضافة الى السراويل الرجالية والحايك والكسا النسوي^{xxvii}.

صناعة الحنبل: والحنبل زربية بمقاسات متعددة تستخدم في المنازل داخل القصور وفي الواحات وكذلك الحال لدى البدو الرح، وقد أشار غودري الى خصائص الحنبل الذي تصنعه المرأة بالجنوب الجزائري من خال دراسة الرسوم والاشكال التي دأبت المرأة على تزيين الحنبل بها وهو ما أعطاه خصوصية عن بقية المناطق الأخرى وكذلك الحال مع الوسائد والزرابي المتنوعة^{xxviii}.

- المرأة صناعة الحلفاء:

تعتبر صناعة الحلفاء سمة من سمات النشاط الاقتصادي في الجنوب الجزائري وفي منطقة جبال عمور والجنوب الغربي بصورة عامة ن وقد برزت عدة عائلات متخصصة في هذه الصناعة اذ كان للمرأة دور رئيسي فيها، وقد أشار الكاتب الى بعض القبائل والعروش التي تميزت نسوقها بهذه الحرفة مثل أولاد يعقوب وأولاد ميمون الغرابا وأولاد داود المتفرغون عن أولاد ميمون الغرابا، إضافة الى أولاد علي بن اممر في مدينة البيض وأولاد ميمون بن عبد الكريم وأولاد سيد الشيخ، علما ن هذه الصناعة كانت تتطور وتنحسر قياسا الى وفرة وقلة مادة الحلفاء في الأسواق^{xxix}.

وقد امتلأت الأسواق بالسلع والمصنوعات من مادة الحلفاء من اواني واطباق لتي لم يتوانى الرجال في بيعها، يشير صاحب الكتاب الى ادور الريادي الذي لعبته

المرأة في صناعة هذه المعدات خاصة وانها معدات أساسية في الحياة اليومية للأسرة الصحراوية بشكل عام.

فقد برعت المرأة في صناعة ما يعرف "بالطبق" بمختلف احجامه إضافة الى طبق "الميدونة" و "الحقن" الذي يستخدم في شرب الماء واللبن زيادة على "الكسكاس" الذي يستخدم في اعمال المطبخ و "القدح" و"المكب".^{xxx}

- المرأة والصناعات الفخارية:

وامتهنت المرأة حرفة صناعة الاواني الفخارية والطينية خاصة المرأة البدوية مقارنة بالمرأة القصورية داخل المدن والواحات، فقد رافقت الرجل في هذه الحرفة ولم يستحوذ علي هذه الشعبة في النشاط الاقتصادي وهذا يبين محورية المرأة في المجتمع بالجنوب الجزائري، خاصة اذا ما عرفنا احتياجات المرأة الى ضرورة تجهيز المنزل بشكل عام ومطبخها بشكل خاصة إضافة الى توفير سلعة سوقية تدر مدخولا إضافيا لبيتها^{xxxi}.

المرأة والصناعة الجلدية:

احترفت المرأة اليدوية الصناعة الجلدية أيضا بصناعة مختلف المتاع المستخدم في الحياة كالالبسة والتجهيزات وغيرها، ومن جملة ما صنعه المرأة بالجنوب الجزائري من الجلود نجد القرب المخصصة للماء والحليب إضافة الى "الشكوة" والشييوطة وهذه الأخيرة هي قربة مصغرة والعكّة والمزاود لحفظ الدقيق والفريينة خاصة بغرض نقلها وحفظها لدى الحط والترحال، إضافة الى "الذهبية" وهي مزود صغير لحفظ البخور والامتنعة الصغيرة الخاصة اشبه ما يكون بحافظة صغيرة في أيامنا هذه^{xxxii}.

ورغم كل ما سبق فقد شار غودري الى محورية المرأة في النشاطات الاقتصادية الأخرى كالزراعة والمساعدة في رعاية قطعان الماشية ومعالجتها من الأمراض وهو ما يشير الى ان دور المرأة في الجنوب الجزائري يعتبر أساسيا بتذليله لكل الصعاب والمعوقات التي تواجه الرجل ونشاطه في كل المستويات.

الخاتمة

كخاتمة لما سبق أقول انه لطالما كان فعل الثورة مقتسما بين كل فئات المجتمع بشكل عام وبين الرجل والمرأة بشكل خاص، وقد مثلت الثورة التحريرية نموذجا حيا لهذا التلاحم والتكامل في خدمة الحرك التحريرية الوطنية

لقد تأسس الفعل الثوري للمرأة بالجنوب الجزائري انطلاقا من مهامها المنوطة بها في الحياة والتي كانت ضرورية في خدمة مسار الثورة، ذلك ان المرأة في الجنوب الجزائري حسب ماتيا غودري كانت رائدة في العمل الاجتماعي والاقتصادي على مختلف الأصعدة وهو ما مكن الثورة من التغلغل والتوسع لأنها وجدت بيئة حاضنة تمثلت في اتساع مهام المرأة في نمط الحياة في الجنوب الجزائري.

يعتبر كتاب ماتيا غودري عن المرأة في جبال عمور وجبال اكسل خزاننا ثريا يؤثرخ لحياة المرأة الصحراوية قياسا الى دقة لمواضيع والجزئيات التي تطرق اليها فهو بحق مؤلف مرجعي لا يمكن الاستغناء عنه في دراسة أي جانب من جوانب حياة المرأة الجزائرية.

ⁱ Mathéa Gaudry ; **la société féminine au djebel Amour et au Ksel, étude de sociologie rurale nord african**, société algeriane d'impressions diverses, Alger, 1961,, Vu l'avant de propose.

ⁱⁱ Ibid

ⁱⁱⁱ للمزيد حول نمط الحياة البدوية والقصورية في شمال الصحراء ينظر للدراسة المتخصصة من قبل:

Georges Hertz, **L'algerie nomade et Ksourienne 1830-1954**, L'imprimer A. Robert, Marseille, 1989.

^{iv} انيسة بركات درار، نضال المرأة الجزائرية خلال الثورة التحريرية، المؤسسة الوطنية للكتاب، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1985، ص29

^v مختار بونقاب، مساهمة المرأة الجزائرية في الثورة التحريرية، الحوار المتوسطي، المجلد8، العدد1، ص190

^{vi} شريف بوقصبة، دور المرأة في الثورة التحريرية (1954-1962)، دورية كان التاريخية، عدد27، مارس2015، ص84.

- vii عبد الكامل جويبة، محطات من نضال المرأة في الثورة التحريرية، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، العدد 1، 2007، ص 164.
- viii أسماء موساوي، إسهامات المرأة الجزائرية في الثورة التحريرية الجزائرية (حسيبة بن بوعلي نموذجاً)، مذكرة ماستر، جامعة أحمد دراية ادرار، موسم 2017-2018، ص 27.
- ix ليلي تيته، دور المرأة الجزائرية في النضال التحرري من خلال موائيق الثورة 1954 - 1962، مجلة منتدى الأستاذ، العدد 13، 2013، ص 48.
- x خديجة حالة، مساهمة المرأة التواتية في الثورة التحريرية، مجلة الميدان للدراسات الرياضية والاجتماعية والإنسانية، المجلد 2، العدد 3، ص 318، 319.
- xi بكرادة جازية، مساهمة المرأة الجزائرية في الثورة التحريرية بالولاية الخامسة من خلال الشهادات الحية، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، عدد 11، ص 256.
- xii محمد غربي، واقع المرأة الجزائرية ودورها في الفترة الاستعمارية (1830 م - 1962)، مجلة جيل البحث العلمي، عدد 73، سنة 8، 2021، ص 16.
- xiii Mathéa Gaudry, Op Cit., P230
- xiv Ibid., P236
- xv شريف بوقصبة، المراجع السابق، ص 85.
- xvi محمدي محمد، المرأة الجزائرية وأدوارها الإنسانية خلال الثورة التحريرية الجزائرية، مجلة قبس للدراسات الإنسانية والاجتماعية، مجلد 3، عدد 2، سنة 2019، ص 685.
- xvii Mathéa Gaudry, Op Cit, P314
- xviii Ibid., P 339-340.
- xix Ibid. P363 - 365
- xx Ibid P366 -367.
- xxi bid P222
- xxii Ibid P223.
- xxiii Ibid P253.
- xxiv Ibid P254.
- xxv Ibid P265
- xxvi Ibid. P268
- xxvii Ibid P266
- xxviii Ibid P274.
- xxix Ibid P289
- xxx Ibid P291 - 293
- xxxi Ibid P296 -298.
- xxxii Ibid P 302-303.